

مدرسة دار الحديث بتلمسان ودورها في التربية والتعليم (1937-1956)

Dar Al Hadith School in Tlemcen and its role in Education (1937-1956)

كلية نصيرة

جامعة ابي بكر بلقايد- تلمسان - (الجزائر)

nacera.kella@univ-tlemcen.dz

ملخص :	معلومات المقال
تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على اهم و ابرز مدارس جمعية العلماء المسلمين "مدرسة دار الحديث"، مبرزين من خلال ذلك دورها في جانب التربية و التعليم، حيث كان لإنشاء هذه المدرسة نقلة نوعية سمحت بتنظيم الحركة الاصلاحية بتلمسان خاصة و المنطقة الغربية بصفة عامة بقيادة البشير الابراهيمي الذي اصبح مشرفا و معلما بها، و رغم لجوء الإدارة الفرنسية الى غلقها عدة مرات و اعتقال شيوخها و إدانة المعلمين بغرامات مالية مكلّفة، الا ان بفضل جهود شيوخ و علماء المنطقة و الجمعية استطاعت المدرسة ان تؤدي دورا كبيرا لا يستهان به من حيث تربية النشء وفق مبادئ الإسلام و غرس الروح الوطنية فكانت بذلك احدى القلاع ووسائل المقاومة الثقافية ضد المشروع الثقافي الاستعماري الهادف الى تجهيل الشعب الجزائري و مسح هويته، حيث حققت خطوة مهمة في تطهير عقائد الإسلام و عباداته من اضرار البدع و الممارسات السلبية لبعض الطرق الصوفية، كما كان لها الدور الرائد في ميادين التربية و التعليم و توحيد الجهود لمواجهة الاستعمار الفرنسي.	تاريخ الارسال: 2022/02/07 تاريخ القبول: 2022/07/30
	الكلمات المفتاحية: ✓ جمعية العلماء المسلمين ✓ مدرسة دار الحديث ✓ تلمسان ✓ التربية و التعليم
Abstract :	Article info
The study aims at highlighting the most prominent schools of the M. S. A "Dar Al Hadith School", regarding its role on education and teaching. The establishment of this school can be considered as a qualitative leap which helped organizing the reformist movement led by al-Bashir Brahimi who was considered as a supervisor and a teacher especially in Tlemcen and in the Western Region in general. However despite the different attempts made by the French administration to close the Dar Al Hadith School and arrest the sheikhs and condemns them with expensive fines. However the Hadith school, thanks to the elders and scientists of the Association, was able to play an important role in leading worshipers in the field of Islamic education through making people aware of the negative practices of some Sufi methods and in unifying the efforts made to face the French colonialism . damage and, and had the leading role in the fields of education And the unification of efforts	Received:07/02/2022 Accepted:30/07/2022
	Keywords: ✓ Muslim Scientists Association ✓ Dar Al Hadith School ✓ Tlemcen ✓ Educationand teaching

❖ **مقدمة:** تعتبر فترة الثلاثينات من القرن العشرين من أهم فترات تاريخ الجزائر المعاصر، حيث اشتدت فيها ضغوطات الاستعمار على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها من لغة، دين ووطن، ومن أبرز ما ميز هذه الفترة هو تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931م، بعد أن بلغ عمر الاستعمار الفرنسي في الجزائر قرنا كاملا.

كانت تهدف الجمعية الى الإصلاح تحت شعار "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"، لقد كان لها اهتمام كبير بالجانب التربوي و التعليمي ، حيث عملت على تأسيس عدد كبير من المدارس عبر ربوع الوطن من أجل نشر التربية و التعليم في اطار مواجهة المخطط الاستعماري (التجهيل ، التنصير، الفرنسة، التجنيس...)، و من غير شك ان المدارس التي اسستها الجمعية قد جسدت أكثر من أي شيء اخر الدور التربوي و التعليمي ، ان هذه المدارس لم تقض فقط على الامية وانما أنشأت جيلا متمسكا بوطنه و مقوماته، فكانت بذلك احدى القلاع ووسائل المقاومة الثقافية ضد المشروع الثقافي الاستعماري الهادف إلى تجهيل الشعب الجزائري ومسح هويته، وتؤكد ذلك مقولة الشيخ البشير الإبراهيمي: " أن المدارس مراكز الإصلاح لا تحسبونها للعلم وحده، حتى إذا أغلقت فرنسا أبوابها أهملت أنها مراكز كفاح..."، ويقول أيضا: " المدرسة طريق الحياة و طريق النجاة و طريق السعادة، وان الوطن أمانة الإسلام في أعناقنا ووديعة العرب في ذمنا، فمن بعض حقه علينا ان نحفظ دينه من الضياع و لسانه من الانحراف ولا سبيل إلى ذلك إلا المدرسة..."، وكانت مدرسة دار الحديث بتلمسان أول هذه المدارس وأبرزها، لهذا نتساءل ما هو الدور البارز الذي لعبته مدرسة دار الحديث في الجانب التربوي و التعليمي، وكيف كان رد فعل الإدارة الفرنسية منها؟

أما أهداف هذه الدراسة تتمثل في:

- تسليط الضوء على مدرسة دار الحديث بتلمسان.
- ابراز دورها في جانب التربية والتعليم.
- تبين موقف السلطات الاستعمارية منها.

وللإجابة على ذلك خصصنا أولا الحديث عن تأسيس مدرسة دار الحديث، بعدها تطرقنا إلى إبراز دورها في المجال التربوي من دروس الوعظ والإرشاد ومختلف النشاطات التربوية، ثم تناولنا الحديث عن دورها في التعليم عن طريق توضيح نظام التدريس والمواد المدرسة بها...، وفي أخير تحدثنا عن ردود الإدارة الفرنسية اتجاه المدرسة. واعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي الملائم لسرد الاحداث وتقرير الحقائق، ثم الوصفي استعنا به في رصد دور المدرسة في المجال التربوي والتعليمي.

❖ **تأسيس مدرسة دار الحديث (البناء والافتتاح):** للتمكن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من إقامة مشروعها التربوي والتعليمي اهتمت ببناء المدارس، لتكون منارات يهتدي بها الشعب الجزائري وتتيर له طريق التحرير من الاستعمار الفرنسي، ومن بين اهم المدارس التي أنشئت في تلمسان مدرسة دار الحديث (انظر الصورة رقم 01).

الصورة رقم 1: مدرسة دار الحديث بتلمسان



المصدر: أحمد طالب الابراهيمي، 2006، ص 41.

✓ **بناء المدرسة:** كان من أهداف جمعية العلماء المسلمين وفق فضلاء (1999) توسيع الحركة الإصلاحية في جميع انحاء الوطن، حيث بعد زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لمدينة تلمسان سنة 1932، اقترح على الشيخ البشير الابراهيمي ان يكون قائد الحركة العلمية في تلمسان، كان لاختيار الشيخ الإبراهيمي الإشراف على الناحية الغربية متخذاً من تلمسان مقراً له أثراً كبيراً في بناء مدرسة دار الحديث، حيث كان المحرك الأساسي لعملية البناء والتمويل، فقد كلف بتنشيط حركة جمعية العلماء المسلمين ومدارسها بالناحية الغربية (أورد في: الابراهيمي، 1986 وبوحوش، 1997) .

انطلاقاً من مقولة العلامة عبد الحميد ابن باديس " الشعب المتعلم لا يستعمر " أسندت الجمعية مهمة تنشيط الحركة الإصلاحية بالغرب الجزائري الى الشيخ الابراهيمي، الذي أشرف على تنظيم الشعب في إطار التربية والتعليم (أورد في: بن حامد، 2017).

جاء الشيخ الابراهيمي الى تلمسان شهر أكتوبر 1932، وبالاشتراك مع الجمعية الدينية الإسلامية التي تأسست في فاتح سبتمبر 1931 (أورد في: مرزوق وبن عامر، 2003 وبن منصور، 1987) وبحضور الشيخ تم عقد الجمعية العامة يوم 23 ديسمبر 1934، أنفق من خلالها على كيفية تشييد المدرسة وتحديد اللجان لتسييرها (أورد في: مرزوق وبن عامر، 2003) ، لقد لعب أعيان وسكان تلمسان دوراً كبيراً وفق ما ذكر في جريدة البصائر (1949) في بناء المدرسة عن طريق التبرعات المالية ، حيث أكثر من

أربعمئة ألف فرنك أنفقت على تشييدها، ووضع الحجر الأساسي لبناء مدرسة دار الحديث يوم 17 فبراير 1936 تحت إشراف الشيخ الإبراهيمي.

أوضح طويلب (2013) أن بناء المدرسة دام ثمانية عشر شهر، حيث كان لها طابعها الحضاري الإسلامي والعربي، وكانت أول مدرسة تبنيتها جمعية العلماء المسلمين بنمط هندسي عربي إسلامي اندلسي، فكانت أبهى منظرا وأعلى بنيانا من جارتها المدرسة الفرنسية، فهي وفق الطالب (2005) عبارة عن بناية ضخمة أنيقة، ذات ثلاثة طوابق والتي أشار إليها رمضان (2003) كما يلي: الطابق الأرضي فيه مسجد للصلاة وقاعة للوضوء، الطابق الأول فيه قاعة المحاضرات و خشبة المسرح و مكتب إدارة المدرسة، والطابق الأخير يحتوي على خمسة أقسام للدراسة، والتي سميت حسب الإبراهيمي (1987) بدار الحديث تيمنا بدار أحاديث الأشرفية بسوريا التي كان يدرس بها الشيخ الإبراهيمي بعد مغادرته المدينة المنورة.

❖ **افتتاح المدرسة:** في سنة 1937 وجه الشيخ الإبراهيمي حسب مجلة الشهاب (1937) دعوة الى الحاضرين في المؤتمر المنعقد بنادي الترقى الذي تأسس سنة 1926 بالجزائر العاصمة (أورد في: بن العقون، 1984)، فافتتحت مدرسة دار الحديث يوم الاثنين 21 رجب 1356 هـ الموافق ل 27 سبتمبر 1937، بحضور جمع غفير من العلماء والدعاة والمصلحين داخل وخارج الوطن على رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي وسكان تلمسان، بالإضافة الى الصحافة الجزائرية والعربية حتى الفرنسية...، وقد انطلق الموكب الذي ضم حوالي 3000 شخص على الطريق الرابط بين محطة القطار ودار الحديث (أورد في: خير الدين، د.س).

ألقى الشيخ ابن باديس بالمناسبة كلمة الافتتاح كان خطابا مؤثرا، كما لقي الشيخ الإبراهيمي كلمته حيث مجد فيها هذا العمل وافتخر به (أورد في: الإبراهيمي، 1997)، بعدها قام العلامة ابن باديس بفتح المدرسة صحبة الجمع الغفير، وقد خصص اليوم الأول للخطب و الدروس و القصائد الشعرية (أورد في: الطالب، 2005)، على يد كبار علماء الجمعية مثل الشيخ الفضيل الورثيلاني، الشيخ العربي التبسي، الشيخ مبارك الملي، إبراهيم أبو اليقظان...، والقى شاعر الجمعية محمد العيد آل خليفة قصيدة بالمناسبة تتكون من 48 بيت (أورد في: الإبراهيمي، 1997).

هذا الافتتاح كان وفق رمضان (2003) حدثا تاريخيا هاما للحركة الإصلاحية الثقافية، لم تشهد الجزائر مثله في تاريخها الحديث حيث كان يوما مشهودا في تاريخ الجزائر عامة وتلمسان خاصة (انظر الصورة رقم 02).

جملة القول إن التربية والتعليم عند جمعية العلماء المسلمين شيئان متوازيان ومتكاملان، لأن التعليم بلا تربية كالشجرة بلا ثمرة أو كالمقدمات بدون نتيجة، فالتعليم إذا هو التلقين والتهديب والتثقيف وتلك هي التربية الكاملة.

الصورة رقم 2: الاحتفال بافتتاح مدرسة دار الحديث بتلمسان



المصدر: الزبير بن رحال، 2009، ص 107.

❖ **دور مدرسة دار الحديث التربوي:** جاءت مدارس الجمعية استنادا لابن رحال (2009) كرد فعل على المدارس الاستعمارية التي كانت تحاول هدم مقومات الشخصية الجزائرية بتعليم الجزائريين آداب الغربيين ولغة الفرنسيين، لذلك نجد أهداف التربية عند الشيخ عبد الحميد بن باديس تتجلى في بعث الفرد الجزائري المسلم القادر على تحمل المسؤولية والأمانة، فضلا على تكوين جيل جديد مزود بتربية عربية إسلامية أساسها القرآن الكريم والحديث الشريف، وله القدرة أن يبني وحدة وطنية وتغيير الواقع المختلف للشعب الجزائري.

يقول الشيخ الإبراهيمي في هذا المجال: " غاية الغايات من التربية هي توحيد النشء الجديد في أفكاره ومشاربه، وضبط نوازعه المضطربة، وتصحيح نظراته إلى الحياة، ونقله من ذلك المضطرب الفكري الضيق الذي وضعه فيه مجتمعه، إلى مضطرب أوسع منه دائرة وأرحب أفقا وأصح أساسا، فإذا تم ذلك وانتهى إلى مداه طمعنا ان تخرج لنا المدرسة جيلا متلائم الأذواق، متحد المشارب مضبوط النزعات، ينظر إلى الحياة كما هي نظرة واحدة، ويسعى في طلبها بإرادة متحدة، يعمل لمصلحة الدين والوطن بقوة واحدة في اتجاه واحد..." (أورد في: الإبراهيمي، 1986).

✓ **دروس الوعظ والإرشاد:** أوضحت كلة (2018) أن المستعمر سعى بكل الطرق للقضاء على الدين الإسلامي، حيث قام باستمالة مشايخ الطرق الصوفية مغذيا فيهم روح التفسخ الديني والخلقي، كما شجع

الاستعمار الخرافات والبدع لدى الجزائريين مستغلا تعلقهم بالأولياء فانتشرت في صفوف الشعب أفكار الشرك بالله، وفي ظل هذه الأحداث ظهرت فئة من رجال الإصلاح تمثلت في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تولت مهمة الدفاع عن الدين الإسلامي واللغة والوطن منذ نشأتها سنة 1931 إلى غاية نهايتها سنة 1956.

إن إنشاء مدرسة دار الحديث كان نقلة نوعية سمحت بتنظيم الحركة الإصلاحية في تلمسان بقيادة الشيخ الابراهيمي الذي أصبح مشرفا و معلما يلقي فيها عشرة دروس في اليوم، كان يلقي دروسا في التفسير بعد الغروب، ودروس الموطأ بعد صلاة الفجر معرف بالإسلام الصحيح، كاشفا البدع و أهلها، داعيا إلى تأسيس المساجد وبناء المدارس وإنشاء النوادي وتكوين الجمعيات، حاتا على التعاون، مصلحا بين الناس... (أورد في: طالب الابراهيمي، 1986)، وقد كان الناس يتهاافتون على هذه الدروس من الشرق والوسط و الغرب الجزائري، وبعد صلاة العشاء كان ينصرف الشيخ الإبراهيمي إلى احد النوادي ليلقي محاضرة في التاريخ الإسلامي (أورد في: الإبراهيمي، 1985)، وبعد غلق المدرسة أوضح مرتاض (1983) أن المسجد بقي مفتوحا يلقي فيه الشيخ دروسا يومية؛ أما الأستاذ بابا أحمد فكان يعلم اللغة العربية و الكتابة والشيخ محمد مرزوق يلقي دروسا في تفسير القرآن الكريم.

يرى مرزوق وبن عامر (2003) أنه امتزجت هذه الدروس بين الوعظ و الارشاد و المسائل الدينية التي تهم المسلم في حياته اليومية ؛ وأضاف عامرة (1975) أن دروس الوعظ والارشاد كانت توجه إلى عامة الناس وغالبا ما تكون بين صلاة المغرب وصلاة العشاء ويوم الجمعة، وفي العطلة الصيفية وشهر رمضان حيث تكثر تلاوة القرآن الكريم وإلقاء الدروس و الاحتفالات الدينية.

كما سعت الجمعية حسب (Taleb Bendiab 2015) لإحياء المناسبات الدينية واستغلالها في تقديم الموعظة الحسنة بتقديم دروس في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحث أهل تلمسان على تعلم سيرته وتعليمها لأبنائهم في سبيل ربطهم بدينهم الحنيف.

جملة القول ركزت مدرسة دار الحديث مثل بقية مدارس جمعية العلماء المسلمين عبر أنحاء الوطن على نشر الوعي الديني والثقافي ومحاربة الجهل والخرافات، عن طريق تنوير العقول بإلقاء دروس الوعظ والارشاد عبر منابر خطب الجمعة والمحاضرات التهذيبية أسلوبها يرتكز على الخطابات المؤثرة في العقول والنفوس...، والقيام بالإصلاحات الاجتماعية وتنقية المجتمع التلمساني خاصة والمجتمع الجزائري عامة من شوائب وبدع الطرق الصوفية السائدة آنذاك.

✓ **النشاط المسرحي:** أشار بن داود (2009) أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد استعملت المسرح كوسيلة منذ تأسيسها لنشر أفكارها الإصلاحية، إلى جانب وسائل أخرى، حيث احتل مكانة هامة في مسارها النضالي لاعتباره كان وسيلة ترفيهية وتسلية، وفي نفس الوقت وسيلة تربوية وتثقيفية.

يعتبر المسرح حسب سعد الله (1998) بمثابة المعلم التربوي لهذا كان بمدرسة دار الحديث قسم مخصص للنشاطات الثقافية كالمسرح، التمثيل والأناشيد...، فمع بداية الأربعينات برز النشاط المسرحي بالمدرسة تحت رئاسة محمد دالي يوسف، حيث كان تلاميذ دار الحديث يقدمون أنشطة ثقافية عامة مثل التمثيليات التي تجسد حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، والقصص والروايات التي كانت تنشر عبر جرائد الجمعية، بالإضافة إلى قراءة الشعر العربي ويرددون الأناشيد التربوية الدينية والوطنية بمناسبة الأعياد ومناسبات أخرى خلال السنة الدراسية، حيث كانت المسرحيات وفق الطمار (1984) مستوحاة من بطولات شخصيات إسلامية من أجل اخذ العبرة في بعث الروح الإسلامية والشخصية العربية، ثم أسس محمد بابا أحمد مسرحا مستقلا بذاته سماه مسرح "الكوكب التلمساني"، وكان له صدى كبير في تلمسان وخارجها (أورد في: مرزوق وبن عامر، 2003)، حيث أضاف رمضان (2003) أنه وفدت إلى الجزائر خلال سنة 1950 بعثة فنية من القاهرة برئاسة العربي يوسف وهبي بك نابغة المسرح و حلت بمدينة تلمسان يوم 23 فيفري 1950، وتشرفت مدرسة دار الحديث باستقبالها.

✓ **النشاط الكشفي:** كانت الجمعية عبر الكشافة تمرر رسائلها الإصلاحية، حيث الكشافة الإسلامية الجزائرية كانت تقوم بدور فعال في نشر الوعي الديني والتربوي وتكوين الشباب الذين كونوا إطارات أحزاب الحركة الوطنية، فكثر الأفواج الكشفية في مدرسة دار الحديث، وأول الأفواج الكشفية في الغرب الجزائري تأسيسا فوج "المنصورة" في تلمسان الذي كان يشرف عليه شريف غوثي، حيث الشيخ البشير الإبراهيمي هو الذي اقترح تسمية الفوج "المنصورة" (أورد في: علوان، 2013).

وفرت المدرسة حسب ما ذكره رامي (2018) مرشدين داخل الأفواج الكشفية لتعليمهم مبادئ دينهم وسيرة نبيهم عليه الصلاة والسلام، ومحاسن الأخلاق، حيث كانوا يلقون دروس داخل مقرات الأفواج الكشفية ويرافقونهم في الخراجات والمخيمات.

أوضح كل من علوان (2013) و رامي (2018) أنه كان أغلب فتيان فوج "المنصورة" من تلاميذ مدرسة دار الحديث، فقد كانت العناصر الكشفية تردد ابیات قصيدة "شعب الجزائر مسلم"، بالإضافة الى العديد من الأناشيد التربوية الدينية والوطنية من نظم أعضاء الجمعية وقادتها، ويرددون الشعار الخاص بالجمعية في الكثير من المناسبات "الإسلام ديننا - العربية لغتنا - الجزائر وطننا"، لقد كان كشافون الفوج هم الذين ينشطون حفلات نهاية السنة الدراسية بالمدرسة والمناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف وليلة القدر، بما أنهم كانوا يحفظون العديد من الأناشيد ومدربون على أداء المسرحيات والتمثيليات...؛ حيث لعبت مدرسة دار الحديث دورا فعالا في تكوين نخب جزائرية مثقفة ثقافة عربية إسلامية مطلعة على الثقافة الفرنسية، وساهمت في نشر العلم والقضاء على السياسة الاستعمارية أمثال: محمد مرزوق، محمد باب احمد، مولاي الحسن البغدادى...، وساهم عدد كبير من هذه النخب في تحرير الجزائر من خلال الالتحاق بصفوف الثورة التحريرية أمثال: العقيد لطفي، مليحة حميدو، عويشة حاج سليمان...

دور مدرسة دار الحديث التعليمي: يعتبر بن محمد الفارسي (1949) التعليم أنه هو التلقين والتفهيم و

التتقيف والتهديب وتلك هي التربية الكاملة، وأضاف كل من جوية وهجرسي (2019) أنه من المجالات المهمة التي ركزت عليها الحركة الإصلاحية "التعليم"، لأنه لا يمكن أن يتحقق الإصلاح الديني والفكري قبل إصلاح العقول، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتعليم، والتعليم القومي على وجه الخصوص والذي يشمل بالإضافة إلى مبادئ القراءة والكتابة دراسة التاريخ العربي والإسلامي، وذلك للحفاظ على المقومات الوطنية من دين، تاريخ ولغة، لقوله تعالى في كتابه الحكيم: " إقرأ بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، إقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ". (سورة العلق، الآية رقم 05) (انظر الصورة رقم 03).

الصورة رقم 3: معلمات مدرسة عائشة ام المؤمنين خريجات مدرسة دار الحديث



المصدر: الشيخ خير الدين، د.ت، ص154

✓ النظام التعليمي للمدرسة: يرى فضلاء (2003) الدراسة بالمدرسة أنها بدأت مع مطلع شهر أكتوبر

1937، وكان طاقم التأطير بها يتشكل من المدرسين على رأسهم الشيخ البشير الابراهيمي، حيث كان نظام التدريس بها على النحو التالي:

- فوج ملازمون: يرى كل من مرزوق وبن عامر (2003) أنه هم الذين يدرسون طوال النهار، كانت الفترة الصباحية من الساعة الثامنة إلى الحادية عشر صباحاً، أما الفترة المسائية فتتمتد من الواحدة بعد الزوال إلى الساعة الرابعة مساءً، وقد خصص للذين رفض أباءهم تدريسهم في المدارس الفرنسية.

- فوجان مسائيان: أشارت تابتي (2019) يمتدان من الساعة الرابعة والنصف إلى السادسة مساءً، وقد خصص للذين يدرسون في المدارس الفرنسية.

- الفوج الليلي: يمتد وفق ما ذكره بن عتيق (1990) من صلاة المغرب إلى العشاء، وبه قسمان للكبار والعمال، الأول يدرسه "محمد مرزوق" والثاني يدرسه "مولاي الحسن البغدادي"، حيث بعد عودة الشيخ البشير الإبراهيمي من منفاه سنة 1943 أوضح طويلب (2013) قام بفتح ثلاثة أقسام أخرى بالمدرسة، ليصبح المجموع ستة أقسام يشتغلون في اليوم بالتناوب وأضاف بن داود (2017) أنه أصبح للمدرسة 6 أقسام مع حوالي 130 تلميذ، وحدد سعد الله (1990) أن سبعة من سبعين منهم على قسمين من خمس سنوات إلى ثلاثة عشر

سنة يتعلمون العربية و الكتابة، وحوالي عشرين تلميذا من فوق خمسة عشر سنة يتلقون الدروس في القرآن و في الفقه من إلقاء الشيخ الإبراهيمي.

كان البرنامج التعليمي للمدرسة حسب تابت (2019) يعتمد على الفروع التالية:

- الفرع الديني بدراسة رسالة التوحيد لأبي زيد القيرواني.
- الفرع اللغوي بدراسة كتاب الصرف والنحو لابن عرجون.
- الفرع التطبيقي أو الحيوي بدراسة الحساب، الجغرافيا واللغة الفرنسية...، بالإضافة الى مواد أخرى كالصنائع اليدوية.

لقد قامت إدارة المدرسة استنادا للإبراهيمي (2007) بتوجيه خريجها إلى معهد ابن باديس بقسنطينة الذي تم افتتاحه في فاتح ديسمبر 1947، حيث يقيمون هناك الى ان ينهوا دراستهم الثانوية، ثم تقوم الجمعية بإرسالهم الى مختلف البلدان العربية لإتمام دراستهم العليا.

أشار ابن ذياب (1952) أن جمعية العلماء المسلمين اتخذت قرارها فيما يخص مدارسها الإسلامية العربية بإجراء امتحانات سنوية لتلاميذها الذين انهوا دروسهم الابتدائية، وقد قررت لجنة التعليم إجراء هذا الامتحان في مراكز معينة في العمالات الثلاثة بواسطة ثلاث لجان، فاختارت لعمالة قسنطينة معهد عبد الحميد ابن باديس، ولعمالة الجزائر مركز جمعية العلماء المسلمين، ولعمالة وهران دار الحديث بتلمسان، وجرى الامتحان يوم الاحد 14 سبتمبر 1953 حسب جريدة البصائر (1952) في المراكز الثلاثة، بينما رشحت من تلمسان 71 تلميذا وكانت نتائج الفائزون بالشهادة الدراسية الابتدائية 35 بنون و 35 بنات.

✓ **المعلمون:** أما بالنسبة لمعلمي مدارس الجمعية فكان مقياس تكوينهم في بداية الأمر حسب عمارة (1975) على الخبرة الشخصية التي يكتسبونها من خبرة التعليم، أما شروط الاختبار فكانت تعتمد على قوة الشخصية والكفاءة التعليمية وحسن الأخلاق، وذلك أن الجمعية كانت تحرص على مكانتها لدى الأمة، لذلك كان لابد لها من الاختيار الدقيق للمعلمين، فكان المعلم مسؤول عن تنفيذ القانون وتثبيت النظام والقيام بدروس الوعظ والإرشاد والمشاركة في وضع الاختبارات.

كانت اللجنة المختصة من طرف جمعية العلماء المسلمين وفق بلقاسم (2017) مهمتها تعيين المعلمين، وتقوم بإعلان أسماء شيوخ المدارس في جريدة البصائر، على سبيل المثال حسب قائمة توزيع المعلمين لسنة 1949 - 1950 الصادرة عن جريدة البصائر (1949)، عُين مجموعة من المدرسين الذين كانت لهم مكانة ثقافية وعلمية عريقة بتلمسان، ويُحْضَرُونَ باحترام الناس نظرا لغزارة علمهم وسعة معرفتهم، حيث كان عددهم حوالي عشرة معلمين وهم: محمد الصالح رمضان (مدير) - محمد بابا احمد (نائبه) -

المختار الصبان - عبد الله أبو عنان - محمد ملوكه - صالح زروق - فتيحة امراد - خديجة خلدون - زوليخة إبراهيم عثمان - عبودة زهية.

ومن أشهر المعلمين في المدرسة نذكر على سبيل المثال: محمد بابا احمد يعلم اللغة العربية والكتابة، ومحمد مرزوق المستشار البلدي يقدم دروسا في تفسير القرآن الكريم (أورد في: سعد الله، 1990) كما ذكرنا سابقا.

✓ **المواد المدرسية والكتب المدرسية:** أما عن المواد المُدرسة بدار الحديث فقد أوضح عمامرة (1975) أنه قد اختلفت ما بين العلوم الشرعية كالقرآن والسنة النبوية والفقه والتفسير، وأيضا اللغة العربية كالأدب والبيان والعروض والشعر، إضافة الى التاريخ والجغرافيا، وأضاف أيضا بلقاسم (2017) أنه كان للمواد التي يدرسونها في المدرسة الأثر في ترسيخ مقومات الشخصية العربية الإسلامية.

أشار مكاي (2019) أن محتوى مناهج مدارس الجمعية يقوم على ثلاثة أركان وهي التربية الإسلامية، وثقافة عربية ابتدائية ومبادئ أولية للمعارف العلمية، فبواسطة القرآن والتاريخ الإسلامي والتعليم الديني والأخلاقي يصل التلاميذ لحقيقة الإسلام، وبفضل المحادثة والقرآن والمطالعة وقواعد اللغة العربية يتعلمون التخاطب الصحيح السليم، ويتعرفون على العالم بفضل دروس التاريخ والجغرافيا.

أما بخصوص الكتب المدرسية حسب جريدة البصائر (1948) بالنسبة للسنة الأولى تحتوي على:

- الجزء الأول من مبادئ القراءة الرشيدة أو مبادئ القراءة المصورة - كتاب سمير الأطفال للهاوي.

بالنسبة للسنة الثانية تحتوي على:

- الجزء الأول من القرآن الكريم - الجزء الثاني من مبادئ القراءة الرشيدة أو مبادئ القراءة المصورة - الجزء الأول من كتاب الحساب العربي - مكتبة كامل كيلاني للأطفال أو ما يقاربها من المؤلفات الموجودة - المحفوظات المدرسية للهاوي - الجزء الأول من "الإنشاء العربي".

بينما السنة الثالثة تحتوي على:

- الجزء الأول من "القرآن الكريم" - الجزء الأول من "النحو الواضح" - الجزء الأول من "الحساب العربي" - الجزء الأول من "القرآن الكريم والدين" - جغرافية حافظ - الأناشيد والمحفوظات.

السنة الرابعة تحتوي على:

- الربع الأخير من القرآن الكريم - الجزء الثاني من النحو الواضح - الجزء الأول من المطالعة العربية للمدارس المغربية - الجزء الأول من التاريخ الإسلامي - الجزء الأول من الفقه - الجزء الثاني من الأناشيد

والمحفوظات- الجزء الثاني من الإنشاء العربي- الجزء الثاني من الحساب العربي- جغرافية القطر الجزائري بتأليف توفيق المدني- الجزء الثاني من "الخط الواضح".

أما السنة الخامسة تحتوي على:

- الجزء الثاني من التاريخ الإسلامي - الجزء الثاني من الفقه الواضح - الجزء الرابع من الأنشيد والمحفوظات- مختارات من شعراء الجزائر - الجزء الثالث من الإنشاء العربي - مختارات من الألفاظ الكتابية - الجزء الثاني من كتاب دروس الأشياء.

✓ **تعليم البنات:** يرى كل من مرزوق وبن عامر (2003) أنه بسبب الإقبال الشديد وتوافد أعداد كبيرة من التلاميذ على مدرسة دار الحديث، أنشأت مدرسة عائشة أم المؤمنين في 21 ماي 1952 وهي امتداد للمدرسة الام (دار الحديث)، وقد خصصت لتعليم البنات فقط، وبقيت دار الحديث للفتيان، وهي أول مدرسة لتعليم البنات المسلمة في الجزائر، فقد كان برنامج التعليم بها مختلفا عن تعليم الفتيان، حيث احتوى على تعليم الفتاة مبادئ الأخلاق والتدابير المنزلية ورعاية الأطفال...

لم يغفل الشيخ الإبراهيمي عن حق المرأة في التعليم، فقد أتاح لها حسب الظروف والإمكانات فرصة لنيل نصيبها من العلم، في الوقت الذي كان الناس يعتقدون عدم أحقية المرأة في التعليم، لهذا ألحق بمدرسة دار الحديث مدرسة عائشة أم المؤمنين لتعليم البنات (أورد في: رمضان، 2003)، وحسب الحسني (1995) فمنذ ذلك الوقت و هما خاضعتان لإدارة واحدة، حيث قدر عدد التلميذات في السنة نفسها ب 5696 تلميذة.

لقد أدرك وفق بو الصفصاف (1981) قادة جمعية العلماء المسلمين أن الشعب الجاهل لا يمكنه التخلص من قيود الاستعمار، فاتخذوا من المدرسة مركزا رئيسيا لمحاربة الاستعمار، إذ كان العلامة ابن باديس يرى أن التعليم أهم سلاح لمحاربة الجهل، وقد وصف الشيخ الإبراهيمي المدرسة بأنها جنة الدنيا، والشعب الذي لا تبنى له مدارس تبنى له السجون، كما كانت التربية والتعليم عاملين أساسيين في تحقيق الشخصية القومية للجماعة.

❖ **ردود السلطات الفرنسية اتجاه المدرسة:** أوضح بن داود (2017) إن النشاط المتزايد

للمدرسة أقلق الإدارة الاستعمارية فأقدمت على إغلاقها بعد ثلاثة أشهر من افتتاحها، وأضاف فضلاء (1999) أنه قد أقدمت الإدارة الفرنسية على غلق مدرسة دار الحديث يوم 31 ديسمبر 1937م بدعوى عدم وجود رخصة تخول لها التعليم، حيث أمر الوالي العام الفرنسي بغلق الأقسام المخصصة للتعليم، لكن قاعة المحاضرات والمسجد بقيا قائمين، رفض الشيخ الإبراهيمي التوقيع على محضر الأمر بغلق المدرسة واستمر في نشاطه، لهذا قُدم للمحاكمة بتلمسان يوم 27 جوان 1938 وقضي عليه بغرامة مالية (أورد في: الإبراهيمي، 1986)، قدرها 16 فرنكا وهو الحكم الذي أكدته محكمة استئناف الجزائر حسب ما ذكره سعد الله (1990)، وكانت التهمة هي القيام بمسيرة من محطة القطار الى مقر المدرسة دون رخصة،

اعتماد على قانون 08 مارس 1938 (أورد في: بن باديس، 1994 وبو الصفصاف، 1996)، حيث بعث الشيخ عبد الحميد بن باديس رسالة إلى ممثلي الإدارة الفرنسية مطالباً باسم سكان تلمسان بفتح المدرسة (أورد في: الطالب، 2005). و بهذا يعتبر هذا العمل وفق سعد الله (1992) مستهدفاً لعمل الجمعية، وذلك لقتل الإسلام والعروبة في نفوس الجزائريين، ويشل حركتهم النهضوية والمتمثلة في المدارس أساساً، بعد أن أغلقت المساجد في وجوههم وأعطى فيها الحق لرجال الدين الرسميين، الذين باعوا أنفسهم ودينهم... مع بداية الحرب العالمية الثانية أغلقت المدرسة مرة ثانية، حيث دعت السلطات الاستعمارية أعضاء الجمعية إلى التعاون معها في الحرب، كان الرفض طبعاً، فقد أمرت السلطات الفرنسية بتوقيف دروس الشيخ البشير الإبراهيمي ومحاضراته بمدرسة دار الحديث و طرد الطلبة منها، ونفي الشيخ إلى مدينة آفلو في 10 أفريل 1940م (أورد في: فضلاء، 1999)، وأوضح أوعامري (2013) أنه قد أغلقت المدرسة و رغم كل هذه المضايقات بقيت المدرسة مستمرة من خلال حُطَب الجمعة التي كانت تقوم بدعاية مضادة للإدارة الاستعمارية .

تبين من خلال ما ذكره فضلاء (1999) أن دار الحديث قد واصلت مشوارها التعليمي الإصلاحي إلى غاية 25 ماي 1956، حيث أغلقت من قبل الإدارة الفرنسية كبقية المدارس التابعة لجمعية العلماء في الغرب الجزائري، وحُولت المدرسة حسب ما أشار إليه كل من مرزوق وبن عامر (2003) إلى ثكنة عسكرية بأمر من عامل عمالة وهران، كما أمرت بحجز كل ممتلكات الجمعية، والقي القبض على رجالها، وجُعِلت دار الحديث مقرً للتعذيب.

❖ **خاتمة:** من أبرز المدارس التابعة لجمعية العلماء المسلمين "مدرسة دار الحديث" بتلمسان، التي تعتبر من أهم منجزات الجمعية في الغرب الجزائري، وذلك لأن تأسيسها في حد ذاته كان تحدياً للإدارة الاستعمارية، تم تدشينها سنة 1937م وذلك بحضور المكتب الإداري للجمعية وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي...، كانت المدرسة تتكون من حوالي ستة أقسام و130 تلميذ، وهيئة التدريس تشمل عشرة معلمين...

كان لإنشاء مدرسة دار الحديث نقلة نوعية سمحت بتنظيم الحركة الإصلاحية بتلمسان خاصة والمنطقة الغربية عامة بقيادة البشير الإبراهيمي الذي أصبح مشرفاً و معلماً بها، حيث يقول: "ان المدرسة هي جنة الدنيا والسجن نارها، والأمة التي لا تبني المدارس، تبنى لها السجون..."، ورغم لجوء الإدارة الفرنسية إلى غلق المدرسة عدّة مرات واعتقال البشير الإبراهيمي وإدانة المعلمين بغرامات مالية مكلفة، إلا أن بفضل جهود شيوخ و علماء المنطقة و الجمعية استطاعت المدرسة أن تؤدي دوراً كبيراً لا يستهان به من حيث تربية النشء وفق مبادئ الإسلام وغرس الروح الوطنية مثل: مليحة حميدو، العقيد لطفي، عويشة حاج سليمان

خلاصة القول تعد مدرسة دار الحديث بتلمسان من أبرز قلاع التربية والإصلاح في الجزائر، إذ شجعت على تعليم البنات مجانا، و تكوينهم تكوينا إسلاميا صحيحا إدراكا منها بدور المرأة في النهوض، كما اهتمت بتلاميذ المدارس الفرنسية، فخصصت لهم برنامجا دراسيا مناسباً يدرسون من خلاله المواد المرتبطة بمقومات الشخصية الوطنية مثل: اللغة العربية، تاريخ وجغرافيا الجزائر والتاريخ الإسلامي، حتى يرتبط هؤلاء منذ الصغر بهويتهم الوطنية وانتمائهم العربي الإسلامي.

في الأخير نقول حققت المدرسة خطوة مهمة في تطهير عقائد الإسلام من أضرار البدع والممارسات السلبية لبعض الطرق الصوفية، كما كان لها الدور الرائد في ميادين التربية والتعليم وتوحيد الجهود لمواجهة الاستعمار الفرنسي.

كاقتراحات ننصح المؤرخين والباحثين الاهتمام والتوجه الى دراسة نماذج عن مدارس جمعية العلماء المسلمين، حيث لعبت هذه الأخيرة دورا كبيرا في مجال التربية والتعليم، فكانت تعد قلاع ووسائل المقاومة الثقافية ضد السياسة الاستعمارية التعسفية، فقد استطاعت الوقوف في وجه المستعمر الغاشم والحفاظ على المقومات الإسلامية والهوية الوطنية وتنقية المجتمع الجزائري من شوائب وخرافات الطرق الصوفية المنحرفة التي كانت سائدة آنذاك.

❖ قائمة المراجع:

1. ابن نزياب، أحمد (1952). امتحان شهادة الدراسة الابتدائية العربية. جريدة البصائر، العدد 202.
2. الأبراهيمي، أحمد طالب (1986). آثار محمد البشير الأبراهيمي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
3. الأبراهيمي، أحمد طالب (1986). آثار محمد البشير الأبراهيمي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
4. الأبراهيمي، أحمد طالب (2006). متكررات جزائري أحلام ومحن (1932-1945). الجزائر: دار القصة للنشر.
5. الأبراهيمي، محمد البشير. (1985). أنا. مجلة الثقافة، الجزائر، 87.
6. الأبراهيمي، محمد البشير (1987). آثار محمد البشير الأبراهيمي. عيون البصائر. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
7. الأبراهيمي، محمد البشير (1997). آثار الامام البشير الأبراهيمي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
8. الأبراهيمي، محمد البشير (2007). في قلب المعركة. الجزائر: دار الامة للطباعة و النشر والتوزيع.
9. الحسني، محمد الهادي (1995). الامام محمد البشير الأبراهيمي رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. مجلة الموافقات، 4، 559-562.
10. الطالبي، عمار (2005). آثار ابن باديس. ج6، الجزائر: طبعة خاصة بوزارة المجاهدين.
11. الطمار، محمد (1984). تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
12. اوعامري، مصطفى (2013). المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية. الجزائر: دار القدس العربي.
13. بلقاسم، محمد (2017). النشاط التعليمي لجمعية العلماء المسلمين بتلمسان -دار الحديث انموذجا - . مجلة القرطاس، 4، 177-193.
14. بن العقون، عبد الرحمن إبراهيم (1984). الكفاح القومي و السياسي من خلال متكررات معاصر. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
15. بن باديس، عبد الحميد (1994). آثار الامام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. قسنطينة: دار البعث للطباعة و النشر و التوزيع.
16. بن حامد، سعدية (2017). مدرسة دار الحديث الابراهيمية بتلمسان اشعاع ثقافي بالجزائر. مجلة البحوث التاريخية، 1(1)، 101-111.
17. بن داود، أحمد (2009). دور المسرح الجزائري في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران1.
18. بن داود، أحمد (2017). المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم (1920-1954). أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران1.
19. بن رحال، الزبير (2009). الامام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية (1889-1940). عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.
20. بن عتيق، محمد صالح (1990). أحداث و مواقف في مجال الدعوة الإصلاحية و الحركة الوطنية بالجزائر. الجزائر: منشورات دحلب.
21. بن محمد الفارسي، الجيلاني (1949). رسالة المعلم، جريدة البصائر، العدد 93.

22. بن منصور ، بدر الدين البيدي (1987). الذكرى الخامسة لتأسيس دار الحديث بتمسان (1937-1987). تلمسان: شركة الطبع و التغليف.
23. بو الصمصاف ، عبد الكريم (1981). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931 - 1945). قسنطينة: دار البعث للطباعة و النشر و التوزيع.
24. بو الصمصاف، عبد الكريم (1996). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945)، دراسة تاريخية و أيديولوجية مقارنة. الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
25. بوحوش، عمار (1997). التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
26. تابتي، حياة (2019). تطور نشاط الحركة الإصلاحية في تلمسان (1932 - 1956) - مدرسة دار الحديث انموذجا - . مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، 9(2)، 373-357.
27. لجنة التعليم العليا (1948). الكتب المدرسية . جريدة البصائر، العدد 59.
28. مؤلف مجهول (1949). قائمة توزيع المعلمين لسنة 1949-1950. جريدة البصائر، العدد 31.
29. جويبة، عبد الكامل و هجرسي، خضر (2019). نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالحضنة من خلال البصائر من 1919 الى 1954 (التربية و التعليم انموذجا). مدارات تاريخية، 10(1)، 28-10.
30. خير الدين، محمد (د.س). منكرات. الجزائر: مطبعة دليب.
31. رامي، سيدي محمد (2018). جمعية العلماء المسلمين و الكشافة الإسلامية الجزائرية بالغرب الجزائري بين التأثير و التأثير. مجلة الرسالة للدراسات و البحوث الإنسانية. 6(2)، 60-53.
32. رمضان، محمد الصالح (2003). الذكرى الألفية لزيارة الفرقة المصرية دار الحديث بتمسان. الجزائر: مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية.
33. سعد الله، أبو القاسم (1990). ابحاث و اراء في تاريخ الجزائر. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
34. سعد الله، أبو القاسم (1992). الحركة الوطنية الجزائرية. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
35. سعد الله، أبو القاسم (1998). تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
36. طويلب، عبد الله (2013). مدرسة دار الحديث بتمسان و دورها في مقاومة السياسة الاستعمارية، حوليات التاريخ والجغرافيا، 4(7)، 165-185.
37. علوان، أمال (2013). اثر الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية على الحركة الوطنية. أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة جيلالي يابس، سيدي بلعباس.
38. عامرة، تركي رابع (1975). التعليم القومي و الشخصية الوطنية (1931-1956). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
39. فضلاء ،محمد الحسن (1999). المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر - القطاع الوهراني. الجزائر: شركة دار الأمة.
40. كلمة ، نصيرة ،(سبتمبر 2018). علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالطرق الصوفية (1931-1956)، دورية كان التاريخية، 41، 150-161.
41. مؤلف مجهول (1937). افتتاح المؤتمر السنوي لجمعية العلماء المسلمين. مجلة الشهاب، العدد 8.
42. مرتاض ،عبد المالك (1983). نهضة الادب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.
43. مرزوق، خالد و بن عامر، المختار (2003). مسيرة الحركة الإصلاحية بتمسان آثار و مواقف (1907-1956). تلمسان: مركز التصوير.
44. مكايي، محمد (2019). التيار الاستقلالي و الإصلاح بمقاطعة تلمسان (1926-1954)، أطروحة دكتوراه في تاريخ الحركات الوطنية المغاربية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان.

45. Taleb Bendjab ,A.(2015). L'expérience du congrès musulman Alegria à tlemcen. Alger: Apic Edition.